اليوميات ، التي تعطي التكوين العام للوحة جمالية الحرف العربي بالاضافة الى الدلالة اللغوية للكلمات المقتبسة .

ومع انتقال اليوميات الى الصدام بين الجيش والسلطة من جهة والمقاومة والجماهير من جهة اخرى ، تنقل رسوم ضياء لحظات الكمون للمدرعات ، ضحايا القصف الرجعي ، الاشتباك مع الاليات وقصفها بأسلحة الار. بي. جي.

وتتتالى صور يتعايش داخلها الموت والجثث الممزقة مع قامات المقاتلين المديدة وصمودهم . ان الجثث الممددة ، واطراف الاليات ، والازهار ، وكتابات مثل « وكنت اسمع انينا في كل مكان حين طلب مني ان اعود الى .. » و« فجأة يفقد الموت معناه وينتاب المرء شعور بأن الناس انما يرتاحون على قارعة الطريق .. » تصبغ رسوم ضياء بسواد المأساة . وتتكرر في كثير منها ثنائيات الموت والصمود : الجثث المتراكمة والمقاتل المنتصب بيقظة . مع تصاعد القتال ، وازدياد الاوضاع سواء ، فان صور الاطراف المبتورة ، الاجساد الممزقة ، القصف العشوائي ، والضحايا من المدنيين والاطفال تقطع تواصلها لحظات البطولة والصمود من المقاتلين حتى نهاية اليوميات .

والواقع انه من الصعوبة بمكان ان نعطي هذا الكشف التصويري لليوميات حقه ، اذ يحول دون ذلك محدودية التعبير النثري عن احتواء التعبير التشكيلي ، وهي الصعوبة التي يعاني منها النقد عموما . واكتفي بأن اشير الى ان ضياء العزاوي قدم عبر الكتاب صورة عن تجاربه وتنقيحاته الاسلوبية ، التي نعهدها فيه . فكثافة انتاجه وتنوعه ، تعكس سعيه الدائب للتجربة وللتنقيح ، وهو هنا يختار موضوعا قريبا من اهتماماته ، فالانسان في انتاج العزاوي له مركز الاستقطاب ، ومأساة كتلك التي عرفها الشعب في الاردن في ايلول ١٩٧٠ تعطيه فرصة تفجير الدفق الدافىء والحزين الذي يكتسي تصويره . ان الموت ، كما الحب ، عند العزاوي موضوع حميم يقربه من البؤس العام الذي يظلل الانسان في المنطقة . وهو حتى في اكثر لوحاته اشراقا ينطوي عن هاجس خوف وعن حدس مطبوع بنذر غامضة تدفعه الى جعل اجساده مؤتلفة ومتعانقة او مشدودة الى بعضها البعض بنوع من التقية والعزاء ازاء العالم الراهن . من هنا اجد في رسوم الكتاب اكثر التصميمات التي تداولت المقاومة والفدائي جمالا ، وابعدها عن الافتعال وعن الكليشيه . واكثرها حبا للانسان المقاتل . ان جماليتها ، ليست تحصيلا لتقنية متمكنة ، فقط ، انها ترجيع وتجل شعري لمشاعر حب الجماهير تشف عن بنية نضالية ، اكتسبت صياغتها وابجديتها من موقف متقدم ومن احساس بمادة القضية التي يعالجها ، لذلك فان رسوم العزاوي تنطوي على اضافات شكلية وعلى جمالية خاصة مستمدة ، بدون مباشرة فجة ، من هيئة المقاتل ، كوفيته ، ملابسه ، سلاحه . فيما وجهه يختصر — كما هو متوقع — في عينين فحسب .

ولا ارغب — اخيرا — في ان يفوتني التنويه بالنص الانجليزي لليوميات النثرية الذي كتبه جبرا ابراهيم جبرا ، الذي تمتع برقة وسلاسة اضفت على اليوميات ، متانة مباشرة وتماسكا عفويا . وان الاخراج الطباعي ، وبعض التضمينات النثرية ، كمقاطع من اغاني المقاومة ومقتطفات من التقارير الصحفية عن مجزرة عمان ، منحت الكتاب مزايا اخرى تستحق التسجيل .

هاني حوراني